

العيد هو موسم الفرح والسرور، وأفراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا إنما هو بمولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته وحازوا ثواب أعمالهم، كما قال تعالى:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس].

لما قدم النبي ﷺ المدينة كان لهم يومان يلعبون فيهما فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَى، وَيَوْمَ الْفِطْرِ» [أبو داود وأحمد] فأبدل الله هذه الأمة بيومي اللعب واللغو يومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو، وهدانا ليوم الجمعة، ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد عيد يتكرر كل أسبوع، وعيدان يأتيان في كل عام مرة مرة من غير تكرار في السنة، فأما العيد

١

المتكرر؛ فهو يوم الجمعة، وهو عيد الأسبوع وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات؛ فإن الله عز وجل فرض على المؤمنين في كل يوم وليلة خمس صلوات، وأيام الدنيا تدور على سبعة أيام، فكلما كُمل دور أسبوع من أيام الدنيا واستكمل المسلمون صلواتهم فيه، شُرع لهم في يوم استكمالهم عيداً يجتمعون فيه وهو يوم الجمعة، فهو اليوم الذي كمل فيه الخلق، وفيه خلق آدم وأدخل الجنة وأخرج منها، وفيه ينتهي أمد الدنيا فتزول وتقوم الساعة، فيوم الجمعة فيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة، وجعل ذلك لهم عيداً، ونُهي عن إفراده بالصيام، وفي شهود الجمعة شبه بالحج؛ فالتبكير إليها يقوم مقام الهدي على قدر السبق فأولهم كالمهدي بدنة ثم بقرة ثم كبشاً

٢

ثم دجاجة ثم عصفوراً ثم بيضة، والحج المبرور يكفر الذنوب وليس له جزاء إلا الجنة، كما أن شهود الجمعة يوجب تكفير الذنوب إلى الجمعة الأخرى إذا سلم ما بين الجمعتين من الكبائر، فهذا عيد الأسبوع.

وأما العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وإنما يأتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة؛ فأحدهما: عيد الفطر: وهو مترتب على إكمال صيام شهر رمضان الركن الثالث من أركان الإسلام، فإذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم واستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار؛ شرع الله تعالى لهم عقب ذلك عيداً يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره

٣

على ما هداهم له، وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة، فهو يوم الجوائز يستوفي الصائمون فيه أجر صيامهم ويرجعون من عيدهم بالمغفرة.

وأما العيد الثاني: فعيد النحر وهو أكبر العيدين وأفضلهما، وهو مترتب على إكمال الحج وهو الركن الرابع من أركان الإسلام، فإذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم، وإنما يكمل الحج بيوم عرفة والوقوف فيه بعرفة؛ فإنه ركن الحج الأعظم كما قال ﷺ: «الحج عرفة» [ت. ن. ح.] ويوم عرفة هو يوم العتق من النار، فيعتق الله من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من أهل الأمصار من المسلمين، فلذلك صار اليوم الذي يليه عيداً لجميع المسلمين في جميع أمصارهم، من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده، لاشتراكهم في العتق

٤

والمغفرة يوم عرفة، وإنما لم يشترك المسلمون كلهم في الحج كل عام رحمة من الله وتخفيفاً على عباده، فإنه جعل الحج فريضة العمر لا فريضة كل عام، بخلاف الصيام فإنه فريضة كل عام على كل مسلم. فإذا كمل يوم عرفة وأعتق الله عباده المؤمنين من النار اشترك المسلمون كلهم في العيد عقب ذلك وشرع للجميع التقرب إليه بإراقة دماء القرابين. فأهل الموسم يرمون الجمرة فيشرعون في التحلل من إحرامهم بالحج ويقضون تفثهم ويوفون نذورهم ويقربون قرابينهم من الهدايا، ثم يطوفون بالبيت العتيق، وأهل الأمصار يجتمعون على ذكر الله وتكبيره والصلاة له، ثم يقربون قرابينهم بإراقة دماء

٥

ضحاياهم، فيكون ذلك شكراً منهم لهذه النعم، والصلاة والنحر الذي يجتمع في عيد النحر أفضل من الصلاة والصدقة الذي في عيد الفطر، ولهذا أمر الله رسوله ﷺ أن يجعل شكره لربه على إعطائه الكوثر أن يصلي لربه وينحر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر] وقيل له ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام]. والأضاحي سنة إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ فإن الله شرعها لإبراهيم حين فدى ولده الذي أمره بذبحه بذبح عظيم.

فهذه أعياد المسلمين في الدنيا، وكلها عند إكمال طاعة مولاها الملك

الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من الأجر والثواب.

ولما كان عيد النحر أكبر العيدين وأفضلهما ويجتمع فيه شرف المكان والزمان لأهل الموسم كانت لهم فيه معه أعياد قبله وبعده، فقبله يوم عرفة، وبعده أيام التشريق، وكل هذه الأيام أعياد لأهل الموسم كما في حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ قال: «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب» [د ت ن ح م]، ولهذا لا يشرع لأهل الموسم صوم يوم عرفة؛ لأنه أول أعيادهم وأكبر مجامعهم، وقد أفطره النبي ﷺ بعرفة والناس ينظرون إليه، وأيام التشريق الثلاثة هي أيام عيد أيضاً، ولهذا بعث

٧

النبي ﷺ من ينادي بمكة: أنها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل، فلا يصوم من أحد.

وقد يجتمع في يوم واحد عيدان كما إذا اجتمع يوم الجمعة مع يوم عرفة أو يوم النحر، فيزداد ذلك اليوم حرمة وفضلاً؛ لاجتماع عيدين فيه، وقد كان ذلك اجتمع للنبي ﷺ في حجته يوم عرفة فكان يوم الجمعة وفيه نزلت هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة].

٨

الخطبة الثانية:

ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لوعلينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال: (أي آية): قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة] فقال عمر: (إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بعرفة يوم الجمعة). قال الشعبي: (نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة حين وقف موقف إبراهيم وادمحل الشرك وهدمت منار الجاهلية ولم يطف بالبيت عريان).

٩

فيوم عرفة له فضائل متعددة: منها: أنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة، وأنه عيد لأهل الإسلام، ولذلك يتأكد من فجر يوم عرفة التكبير المقيد بعد الصلوات، ويكبر فيه الحاج وغير الحاج وينتهي بغروب شمس آخر أيام التشريق. ومنها: أن يوم عرفة يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، يُنَاجِي - بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟» وفي صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّقِييَاهِ - بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى

عِبَادِي أَتَوْنِي شُغْنًا غَيْرًا صَاحِبِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» فَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: «أَيُّ رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ يَزْهُو وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: «قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ». وقال النبي ﷺ: «مَا رَأَى الشَّيْطَانُ يَوْمًا هُوَ فِيهِ أَصْغَرُ، وَلَا أَذْهَبُ، وَلَا أَحْقَرُ، وَلَا أَغِيْظُ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا يَرَى مِنْ تَنْزُلِ الرَّحْمَةِ، وَتَجَاوُزِ اللَّهِ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ، إِلَّا مَا رَأَى مِنْ يَوْمَ بَدْرٍ» فَقِيلَ: وَمَا رَأَى مِنْ يَوْمٍ بَدْرٍ؟ فَقَالَ: «أَمَّا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَزْعُمُ الْمَلَائِكَةَ» [ط]. ومن فضائله: أن صيامه كفارة سنتين: ففي صحيح مسلم

عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ». ومن أعمال يوم عرفه: الإكثار من شهادة التوحيد، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ يوم عرفه: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [حم] وفي رواية: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [ت]. فتحقيق كلمة التوحيد يوجب عتق الرقاب وعتق

الرقاب يوجب العتق من النار كما ثبت في الصحيحين أن: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً، كَانَتْ لَهُ عَدَلٌ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ، حَتَّى يُمِسي وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةً مَرَّةً حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ». وليحذر المسلم من الإصرار على الذنوب وليبادر إلى التوبة في هذه الأيام فالتوبة من أعظم الأعمال الصالحة وهي تجب ما قبلها فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم ترحمون.